كان يجاور في حراء ويتحنث فيه قال والتحنث التبرر تفعل من البر وتفعل يقتضي
الدخول في الفعل وهو الأكثر فيها مثل تفقه وتعبد وتنسك وقد جاءت ألفاظ
يسيرة تعطي الخروج عن الشيء واطراحه كالتأثم والتحرج والتحنث بالثاء المثلثة
لأنه من الحنث والحنث الحمل الثقيل وكذلك التقذر إنما هو تباعد عن القذر
وأما التحنف بالفاء فهو من باب التبرر لأنه من الحنيفية دين إبراهيم صلى الله عليه
وآله وسلم وإن كانت الفاء مبدلة من الثاء فهو من باب التقذر والتأثم وهو
قول ابن هشام واحتج بجدث وجدف وأنشد قول رؤبة
لو كان أحجاري مع الأجداف   وفي بيت رؤبة هذا شاهد ورد على ابن
جني حيث زعم في سر الصناعة له أن جدفا بالفاء على أجداف واحتج بهذا
لمذهبه في أن الفاء هي الأصل وقول رؤبة لو كان أحجاري مع الأجداف فيه رد
عليه والذي يذهب إليه أن الفاء هي الأصل في هذا الحرف لأنه من الجدف وهو
القطع منه مجداف السفينة في حديث عمر رضي الله عنه في وصف الجن شرابهم
الجدف والجدف القبر من هذا فله مادة، وأصل في الاشتقاق فأحد ما أن
تكون الفاء هي الأصل والثاء داخلة عليها، وقوله يجاور في حراء الكلام في
الجوار بكسر الجيم في معنى المجاورة وهي الاعتكاف ولا فرق بين الجوار والاعتكاف
إلا من وجه واحد وهو أن الاعتكاف لا يكون إلا داخل المسجد والجوار قد يكون
خارج المسجد كذلك قال ابن عبد البر وغيره ولذلك لم يسم جواره بحراء اعتكافا
لأن حراء ليس من المسجد ولكنه من جبال الحرم وهو الجبل الذي نادى رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قال ثبير وهو على ظهره اهبط عني فإني أخاف
أن تقتل على ظهري فأعذب فناداه حراء إلي يا رسول الله، **فصل في ذكر**
نزول جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم قال في الحديث فأتاني وأنا نائم وقال في آخره فهببت من نومي فكأنما
كتبت في قلبي كتابا وليس ذكر النوم في حديث عائشة ولا غيرها بل في حديث
عروة عن عائشة رضي الله عنها ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل عليه السلام
عليه حين نزل بسورة اقرأ كان في اليقظة لأنها قالت في أول الحديث أول ما بدئ
به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الرؤيا الصادقة كان لا يرى رؤيا
إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء إلى قولها حتى جاءه الوحي وهو بغار حراء
فجاءه جبريل عليه السلام فقد ذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول
جبريل على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالقرآن وقد يمكن الجمع بين الحديثين
بأن يكون النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم جاءه جبريل عليه السلام في المنام قبل
أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيرا عليه ورفقا به لأن أمر النبوة عظيم وعبؤها

[illegible]

ثقيل

ثقيل والبشر ضعيف، وسيأتي في حديث الإسراء من مقالة العلماء ما يؤكد
هذا الغرض ويصححه وقد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن رسول الله
صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكل به إسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين
ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن والوحي فعلى
هذا كان نزول الوحي عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أحوال مختلفة فمنها
النوم كما في حديث ابن إسحاق وكما قالت عائشة أيضا رضي الله عنها أول ما
بدئ به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الرؤيا الصادقة وقد قال إبراهيم
صلى الله عليه وعلى آله وسلم إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى فقال
له ابنه افعل ما تؤمر فدل على أن الوحي كان يأتيهم في النوم كما يأتيهم في اليقظة،
ومنها أن ينفث في روعه الكلام نفثا كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم
إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله
وأجملوا في الطلب وقال مجاهد وأكثر المفسرين في قوله سبحانه وما كان لبشر
أن يكلمه الله إلا وحيا قال هو أن ينفث في روعه بالوحي، ومنها أن يأتيه الوحي
في مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه وقيل إن ذلك ليستجمع قلبه عند تلك
الصلصلة فيكون أوعى لما يسمع وألقن لما يلقى، ومنها أن يتمثل له الملك رجلا
فقد كان يأتيه في صورة دحية بن خليفة ويروى أن دحية كان إذا قدم المدينة
لم تبق معصر إلا خرجت تنظر إليه لفرط جماله وقال ابن سلام في قوله أو لهوا
قال كان اللهو نظرهم إلى وجه دحية لجماله، ومنها أن يتراءى له جبريل عليه
السلام في صورته التي خلقه الله فيها له ستمائة جناح ينتثر منها اللؤلؤ والياقوت
ومنها أن يكلمه الله من وراء حجاب إما في اليقظة كما كلمه في ليلة الإسرا
وإما في النوم كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي قال أتاني ربي
في أحسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الأعلى فقلت لا أدري فوضع كفه بين
كتفي فوجدت بردها بين ثندوتي وتجلى لي علم كل شيء وقال لي يا محمد فيم يختصم
الملأ الأعلى فقلت في الكفارات فقال وما هن فقلت الوضوء عند الكريهات ونقل
الأقدام إلى الحسنات وانتظار الصلوات بعد الصلوات فمن فعل ذلك عاش
حميدا أو مات حميدا وكان من ذنبه كيوم ولدته أمه، وذكر الحديث فهذه
ستة أحوال وحالة سابعة قد قدمنا ذكرها وهي نزول إسرافيل صلى
الله عليه وسلم بكلمات من الوحي قبل جبريل عليه السلام فهذه سبع
صور في كيفية أول الوحي على محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم أر أحدا
جمعها كهذا الجمع وقد استشهدنا على صحتها بما فيه غنية وقد أملينا أيضا في
حقيقة رؤيته عليه السلام ربه في المنام على أحسن صورة ويروى على صورة

المعصر هي الجارية المعصرة

[illegible]

Copyright © King Saud University